غضب الصخرة

قالوا بأن الصخرة معلقة
بين الأرض والسماء
أردت أن أرى
وكلي فضول ورجاء
أعجوبة السنين الخالية
معجزة هي أم أقوال منمقة
كنت في العاشرة مصدقة
حين دخلت الصخرة لأول مرة
رأيت بناء وقبة
لا شيء يلهب عندي الخيال
ما هو مألوف لا يغري، حلم ينال

ولكن حين أصبحت من النضج بحيث أعلم
معنى الرموز وراء الكلام
وجدت الصخرة حقا معلقة بين الأرض والسماء
تعبر عن طموح الإنسان
شوقه الأبدي للحرية والسلام

عندما رأيت لأول مرة
يهودا يبكون عند الحائط المقدس
يطوون أوراقا يكتبون عليها دعواتهم
ويرسمون صورا تحمل آهاتهم

ضحكت من كل قلبي
والأطفال حولي يضحكون
من مشهد سخيف، من قوم على حجارة متداعية يبكون

ولكن حين أصبحت من النضوج بحيث أعلم
معنى الرموز وراء الطقوس والحركات
أشفقت على الشعب الذي عانى
وعاش طويلا في المسكنة
وقلت في أعماق قلبي النقي
من التعصب عسى نلتقي
إخوة نحن في الشقاء
لنعش معا ونرتقي نحو السماء

ولكن ما أكبر ما كان طموح الجدار
لن تشبع الدعوات المحشوة فيه عن الثأر
من قومي الذي لم يأثم، من صاحب الدار
جذوره ضاربة في الأرض هو المختار
لم يكونوا حين كان، لم يجر بل غيره جار

الجدار المتداعي يبغي آثما
أن يهدم الصخرة الأبية
شوق الإنسان إلى بيت أبدي
للسلام والعدل والحرية
الشعب الطموح أراد
وطنا لا مكان فيه لسواه
يدوس غير عابئ كل شرعية

يهجر المنطق السليم إلى همجية
متسلحا بمخالب الجور
بقوى القهر العصرية

أنتم يامن اخترقتم
كل القوانين الطبيعية
لن يعطيكم الحق، الشعب صاحب القضية
لن يكون لكم من لقب
إلا ماتعطيه القوة القسرية
للأقوى على الأضعف في فترة زمنية

عودوا إلى أصولكم إذ خرجتم من العبودية
وتعاهدتم مع الله، مع الحرية
كانت لكم رسالة، كنتم ثورة إنسانية
أما اليوم فليس لكم إلا الطموح والأهواء الشقية
غزاة أجانب وخطط شريرة
لصوص للثروات والأراضي العربية.

عندما رأيت المنفيين من ديارهم
أخرجوا ومن بيوتهم الدفيئة
وحيدين جياعا للطبيعة القسية
عرفت أي شقاء سيعانون وأي رزية
لمع تحت الكاميرا وجه أليف
يحمل بائسا حزنه الثقيل
على ابن سبعة عشر، زينة شباب الجيل
سقط مدمى برشاش الغزاة عند الأصيل

في حرم الصخرة.

صحت في جنون الغضب:
"واه صلاح الدين!
ألم ترتجف عظامك في القبر ألم تجبر
وروحك بعد آلام الفراق ألم تتحرر
مشتاقة لبعث جديد، لحلم يتفجر
ووقفة كالطود تبهر
تقي غاضب، على الظلم ثائر
مصمم لاتنحني لجائر؟

الصخرة غاضبة يا صلاح الدين
إنطفأ النور والحقيقة منفية
هجر الله القدس والشعائر منسية
لم تعد للعرب فيها من بقية
ثورة موسى، ثورة التحرير هي اليوم لنا
نحن أبناؤها، والشعب المختار في هذي الدنا
نحن من ينصر الله لتعود الأرض لنا والحرية!!!

يسرى الأيوبي